المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا

تنشر عادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى ومنارة كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٢ — ١٨ مارت (آذار) سنة ١٩٠٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا إليه النشور ، وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور ، أحيانا بتلك الروح التي ينحدر إلى الإنسانية بالإعراض عن تلك الهداية السماوية ، وأحيانا بعد قرون ، وأماتنا بعد قرون ، فسأله الإتمام وعده المشار إليه في الآية الكريمة ، بأن يؤيدنا بروح منه ويُنزل علينا السكينة ، ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله ، رسول الرحمة ، ومعلم الحكمة ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بتأييد دعوته ونصرة حزبه .

وبعد فقد دخل المنار في العام التاسع من حياته وهو سن التمييز في الحياة الشخصية ولعل حياته تكون في هذا الطور خيرا مما قبله إن شاء الله تعالى ، فإذا كان في طفولته قد نجا من المكاره ، وانتصر على المعاندين ، ومن الصعاب في الأوقات ، فكذلك هو وثبات . فالرجاء بفضل الله وعنايته أن يجعله في طور التمييز مستمرا في ظهوره وانتشاره ، وأن يكثر مريدوه ، وما بلغ المسلمون من الضعف والتخاذل إلا لأنهم [illegible] من هديه ، وتركوا في الصحف السياسية كيف وهم يرون [illegible] ، فقد قال الأستاذ الإمام وقد سبقهم في إنشاء الصحف الدينية : إن مصر وبيروت كثيرا من [illegible] بلغة العربية ، فما بالك بسائر اللغات وهي لغات القوم الأصلية .

بل إن جميع الأمم والشعوب فاقت المسلمين في جميع الأعمال الاجتماعية التي ملاكها التعاون لا في

الصحف المالية فقط والتعاون فرض في ديننا مأمور به في كتابنا ولكن أين نحن من الكتاب وفرائضه . فيا ليت الذين لا يعاونون العاملين منا الامة لا يخذلونهم ولا يعارضونهم في أعمالهم ومشروعاتهم . كلا انا نحن أعداء أنفسنا . وانا نحن مرض أمتنا . وانا نحن آفة نجاحنا . ولو عقل الذين يشكون من الاجانب لشكوا من قومهم ، ولو شعر الذين يشكون من أخوتهم لشكوا من أنفسهم .

أرأيت هذا المنار الذي انشيء لخدمة الامة والدفاع عن الملة . إنه ليطالب الذين ينكرون فائدته أو يدعون مضرته : بأن يبينوا له وجه الضرر لينتحيه ، ووجه النفع لينتحيه ، وانا لا يطالب الذين يقولون انه نافع ولا الذين يقولون انه انفع ما يكتب المسلمون في هذا العصر بأن تبرعوا له بمال لتوسيع دائرته أو لزيادة مادته ، وانما يرضى منهم بأداء حقه ، وحقه على جميع قرائه أداء قيمة الاشتراك التي هي قوام العمل وأداته التي لا يوجد الا بها ، وحقه على الخواص منهم الدعوة اليه والترغيب فيه عندما تسنح لهم الفرص ويناطبون من يتوسمون فيه الاستعداد

لست أعني بالخواص الاغنياء ولا كبار الموظفين ، فان منهم من يملك الالوف وعشرات الالوف من الفدادين أو الدنانير ، وهو يماطل في دفع قيمة الاشتراك عدة سنين ، وانما أعني بهم كل من له عقل يتفكر به في مصلحة الامة ، وقلب يشعر به في الشرف والفضيلة . أولئك هم خواص الامم الذين لم تنجح امة الا بكثرتهم فيها

لا يكثر في الأمة العلماء المفكرون الا بالتعليم العالي ، وانى لنا به ولم ترق هذه البلاد الى ان يكون فيها مدرسة كلية ، ولا يكثر في الامة اهل الشعور بالشرف حتى ترتقي التربية النفسية فيها ، وانى لنا بذلك ولم ترق معارف الناس الى ان يفصلوا بين التعليم وبين التربية ، فترى كبراءنا وأذكياءنا يتعصبون بالقشر من الناس تلقوا شيئا من التعليم العصري الناقص وأخلاقهم تربية في عرفهم من دخل في مدارس أوربا وان كان أكثرهم كما يعرف العارفون في اخلاقهم واعمالهم لا سيما الذين تعلموا في فرنسا منهم

ان ارتقاء الفكر والشعور لا يعرف الا بأثره في العمل للامة . فاذا قلنا ان خواص الامة هم العاملون لها المخلصون في خدمتها ، الذين لا يشترون مصلحتهم بمصلحتها ، فكم رجلا نعد من هؤلاء فينا ؟ هل نعد منهم من يرى منتهى الشرف ان يشتري رتبة يغريا بحلتها ، او وسمة يتزين بحليتها ، ؟ هل نعد منهم سماسرة الرتب والاوسمة الذين يأخذون عليها الاجور من اهل الدور ثم يطرونهم بالاماديح قائلين انهم ما رصلوا في هذه المالي والحلل الا باخلاصهم للبلاد ولسيد البلاد ورمثل الامة ؟ هل نعد منهم الذين يقولون ويكتبون ما يراه غيرهم حسنا وان راوه قبيحا ، ويدعون الى ما يشعر غيرهم بفائدته اولذته وان كانوا يشعرون بفائلته ومرارته ، « هؤلاء هم الذين ورد في امثالهم « لهم قلوب لا يفقهون بها » وانما يفقهون بقلوب من ينتفعون منهم « ولهم آذان لا يسمعون بها » وانما يسمعون بآذان من يأتونهم حواسهم ومشاعرهم كما يأتونهم بقلوبهم وافكارهم « أولئك كالانعام بل هم اضل » لانهم خرجوا عن فاتون فطرتهم فما اوتوه من الدهاء والانعام لم تخرج عن الفطرة ، ولان في الانعام ما ينفع للناس وهم ضررون للناس « اولئك هم الغافلون » عما يأتي بأمتهم ويزل بها من النصائب بافسادهم لا خلاقها ، وعقولهم لوجدان الفضيلة والشرف المليق بها ؟ وياحسرة على امة تعد هؤلاء من خواصها او من مرشديها .

الخواص هم اصحاب الاخلاق والشمائم وهم الذين ينهضون بالامم في كل عمل نافع فالامم أكثر عددهم فيها ، ووفقنا الله جميعا للاحسان في العمل ، والتعاون على البر والتقوى ، ولاخلاص النية في السعي لنجوى ، عسى ان نكون من المفلحين ؟

منشيء المنار وعصره

محمد رشيد رضا